جماليات التكرار في قصيدة "بنت الشهيد مالها" للشاعر عبد الله بن حلّي

بين المفارقة البلاغية والنسقية النصية

بوزيان حمزة تحت إشراف الأستاذ محمد ملياني*

ملخص البحث:

يعدُّ التكرار من أهم وسائل التماسك النصي، التي عوّل عليها علماء النص في تحليلهم للنصوص، وعليه يسعى هذا البحث إلى استجلاء جمالية التكرار في قصيدة "بنت الشهيد مالها" للشاعر عبد الله بن حلي، حيث سعى الشاعر من خلال هذه القصيدة إلى التعبير عن وجدانه وأحاسيسه، وذلك بتصويره معاناة بنت الشهيد والألم الذي عاشته من غبن وطمع فيها من جهة، ورغبتها القوية في مواجهة الظلم من جهة أخرى؛ موظفا آلية التكرار، لما لها من جماليات ومفارقات بلاغية، والتي حاولت اللسانيات النصية استجلاءها، وتسويغ آليات توظيفها وتعليلها، وهذا الذي اشتغل عليه هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: جماليات (Aesthetics)، التكرار (Repetition)، المفارقة (The paradox)، النص (Text)، النسقية (Contextualization)، اللسانيات (Linguistics)، البلاغية (Rhetorical)، الاتساق (Cohesion)، الانسجام (Coherence) ، النصية(Texture) .

The summary

Repeating stands for the most important means of communication script.

A lot of writers and authors give great importance to the process of repeating in analysing their texts and works, for this reason our project aims at showing and shedding light on the beauty of **repeating** found and felt in the poem entitled –The Marthyr s daughter by Abdellah Ben Hali-

Our poet showed highlighted and expressed his Feelings and emotions, in fact he described the suffering of the marthyr s daughter, her fight and struggle against the oppression and the injustice also her strong desire and will to combat her pain.

* - بوزيان حمزة، باحث جامعة وهران1.

تمهيد:

لا مناص لنا ونحن نباشر تعريف **التكرار** من أن نبدأ بتدبر المفهوم اللغوي لهذا المصطلح، حيث سنحاول تسليط الضوء على معجم لسان العرب لابن منظوروالقاموس المحيط للفيروز الأبادي لما لهما من زاد معرفي كبير حول معنى هذا المصطلح، فلفظة **التكرار** مأخوذة من مادة (**كرر**) من الجذر اللغوي **(ك.ر)** حيث وردت:

في **لسان العرب** على النحو التالي:**"الترداد والترجيع من كرَّ يكر كرا وتكرارا، والكر الرجوع على الشيء ومنه التكرار، وكرر الشيء وكركره أعاده مرة بعد أخرى، ويقال كررت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه"**[1].

يتضح للمتأمل لمعجم لسان العرب أن معاني التكرار وإن تعددت فإنها لا تبتعد عن معنى **الإعادة والترجيع.**

في حين لو رجعنا إلى معجم **القاموس المحيط** لوجدناه يحمل معنى **الإعادة** فقدجاء **كرر الشيء وتكرار وتكرارا، أعاده مرة بعد مرة"**[2].

من خلال هذه الآراء التي استقيناها من المعاجم اللغوية يتراءى لنا بأنها تتفق في نقطة جوهرية تدل على أن التكرار يوحي بدلالة **الإعادة والترجيع**.

بعد هذه اللمحة التي حاولنا من خلالها استظهار الدلالة المعجمية لهذا المصطلح- **التكرار** - كما أثبتها بعض اللغويين وحتى يتضح المفهوم أكثر في ذهن المتلقي دعونا نولي وجوهنا شطر الدلالة الاصطلاحية لهذا المصطلح.

يعد التكرار إحدى القضايا الرئيسية التي شغلت كل من اهتم بالدراسات النصية،إذ أنه يجسد شكلا من أشكال الترابط المعجمي على مستوى النص،وقد ذكر **كريستال** تعريفا له تحت مصطلح repeated بأنه: «**التعبير الذي يكرر في الكل والجزء"**[3]

ويعرفه **إبراهيم الفقي** بأنه:**"إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة".**[4]

وبالتالي فهو يرى أن التكرار لا يقتصر على عدد من الألفاظ في الجملة، بل قد تتكرر جملة كاملة وقد تتكرر فقرة.

وقد زخرت الدراسات النقدية القديمة بفيض غزير من الحديث عن **التكرار**، ولعل علماء البلاغة هم من أعطوه اهتماما كبيرا لِما له من علاقة بالقران الكريم وكلام العرب، فنجد **ابنقتيبة(ت276ه)** يوضح هذا الكلام بقوله أن: **التكرار مذهب من مذاهب العرب وأن القران الكريم نزل بلسانهم،كما أنه يفيد التوكيد والافهام**[5].

ويرى**ابن الأثير** أن التكرار هو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أم مختلفا أو أن يأتي بمعنى ثم يعيده.[6]

1/ أشكال التكرار:

يأتي التكرار في أربعة أشكال، هي:

1. **التكرار التام أو المحض**(full récurrence)**:**وهو تكرار اللفظ و المعنى و المرجع واحد.
2. **التكرار الجزئي**(partial récurrence)**:**وهو ما يكون بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي.
3. **تكرار المعنى واللفظ مختلف:**ويشمل الترادف والعبارة الموازنة، كقولنا **"لا اله إلا الله وحده لا شريك له".**
4. **التوازي**(parallélisme)**:**وذلك بتكرار البنية مع ملئها بعناصر جديدة.[7]

2/ جمالية التكرار بين المفارقة البلاغية ونسقية النص:

أما فيما يخص المفارقات بين البلاغيين وبين علماء النص فنوجزها فيما يلي:

الأولى: معالجة هذه الظاهرة عند البلاغيين العرب من منظور بلاغي صرف،ومن ثم كان التركيز على الكلام الأدبي والشعري خاصة،وكذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي،بينما عولجت هذه الظاهرة عند علماء لغة النص من منظور لساني صرف،ومن ثم شملت النصوص بمختلف أنواعها.

الثانية: عدم الاقتصار في هذه المعالجة عند علماء النص على مستوى الجملة،بل تجاوز هذا المستوى على الجمل والفقرة والنص بتمامه،بينما ركزت المعالجة عند البلاغيين العرب أكثر ما ركزت وخاصة في مرحلة التقعيد على الجملة أو البيت،و إن جاءت عندهم شواهد تجاوزت هذا المستوى.

الثالثة: وقف علماء النص على أربع درجات التكرار،وهم في هذا أفادوا من الدراسات اللغوية والدلالية المعاصرة،بينما وقف البلاغيون العرب على درجتين فقط (إعادة العنصر المعجمي،والترادف أو شبه الترادف)،

الرابعة: سيطرت الغاية التقعيدية التعليمية على البلاغة العربية خاصة مرحلة التقعيد بينما سيطرت علماء لغة النص الغاية الوصفية التشخيصية[8].

و ليس التقاء و اختلاف علماء البلاغة وعلماء النص في تحديد مفهوم **التكرار** عيبا بقدر ما هو تجسيد لما تشهده الساحة العلمية من زوال الحواجز بين تداخل هذه العلوم.

ولقد اهتمت القصيدة النثرية الحديثة بأداة **التكرار** لما له من أثر كبير في التعبير عما يجول في خاطر الشاعر من ألم وحزن بغية التأثير في المتلقي،ورغبة مني في إبراز هذا التأثير من خلال آلية **التكرار** اخترت قصيدة **"بنت الشهيد مالها"** للشاعر عبد الله بن حلي.

3/ جمالية التكرار في قصيدة بنت الشهيد مالها:

لقد حاول الشاعر أن يعكس من خلال هذه القصيدة الواقع المرير الذي عاشته البنت الجزائرية بعد الاحتلال، حيث إن المتأمل للقصيدة،يرى أن الصيغة المكررة **بنت الشهيد مالها** صيغة تخاطبية، وكل خطاب يأتي بعدها يفيد التفسير، فإذا ما قمنا بتحليل العنوان فنجده يتكون من اسم مبتدأ **بنت** مضاف إليه اسم **الشهيد**

والعنوان في حقيقته لا يحمل دلالة لأن الخبر محذوف، فنحن نحتاج إلى معرفة مالها، وبالتالي فالعنوان يحمل حمولة المكون الموضوعاتي، وهو المرجعية التي تخوض منها دلالة النسق.

أما إذا ما تحدثنا عن القصيدة، فقد عمد شاعرنا إلى توظيف جميع أنواع التكراروأشكاله في قصيدته ونفصلها فيما يأتي:

4/ تمظهرات التكرار ومسوّغات التأويل:

1. **تكرار الحرف** :إن أول ما يستدعيك عند سماعك لشعررة القصيدة تأليفها الصوتي إزاء تكرار حرف الهاء الممدودة ثلاثين(30) **مرة**، فضلا عن اعتماد روي القصيدة غالبا عليه،فهو حرف من حروف الحلق وهو حرف رخو مهموس وهما صفتي ضعف، فأفاد تكرار هذا الحرف استمرارية فرضت عليه اتساقا، وهذا ما جعل الخطاب الشعري يخلو من الانقطاع و جعله مترابطا بعضه مع بعض، و في تكرار الشاعر لحرف **الهاء** دلالة على الوضعية التي تعيشها بنت الشهيد، فهو أراد أن يعبر عن خلجاته النفسية إزاء ما تعيشه بنت الشهيد، وهذا واضح في قوله:

مالها مالها؟ بنت الشهيد مالها
رهنت خلخالها لتستر حالها
لتستر حالها وتطعم أطفالها
في السوق تتبع دلالها
تريد مالها أو خلخالها
أعطتك أغلى مالها
أباها أخاها خالها

وكأننا نحس أن الكلمات: **خلخالها-أطفالها-دلالها-مالها-رجالها-نعالها-زلزالها-امالها-أباها-أخاها-خالها** تخرج من الأعماق ولهذا وظف **الهاء** التي تخرج من أقصى الحلق.

أضف إلى ذلك أن هذا الحرف يثير انتباه السامع خاصة في تكرار الروي بهذا الحرف، وبالتالي يتبين لنا الوظيفة الإيقاعية التي يمثلها كما يحقق نغما موسيقيا واحدا.

كما نجد في القصيدة هيمنة حرف **اللام** مثل: **لها-خلخالها-حالها-أطفالها-دلالها-مالها-رجالها-نعالها-زلزالها-أمالها.**

فالمتأمل لهذا الحرف يجده كثيرا متصل بالهاء الممدودة التي قلنا أنها تخرج من أقصى الحلق، وكأن الشاعر لم يكفه الحرف الحلقي الممدود **الهاء** ليعبر عما عانته المرأة الجزائرية حتى أضاف هذا الحرف الذي يخرج من اللسان.

والذي يبدو هو أن تكرار **اللام** أضفى على القصيدة نبرة حزن وألم لما تعرضت له بنت الشهيد.

وانطلاقا مما سبق يتضح لنا أن القصيدة زخرت بتكرار الحرفين **الهاء واللام** لما يحملانه من مشاعر ممتدة وأحاسيس عميقة، وذلك في مجال الحزن والأسى.

2. تكرار الكلمة:عمد شاعرنا إلى تكرار لفظة **الخلخال** دلالة على الشأن العالي الذي تحتله المرأة الجزائرية، وهذا واضح في كونها رهنته ولم تبعه، فالرهان يدل على فترة المعاناة والانكسار الذي عاشها المجتمع الجزائري عامة والمرأة خاصة، هذا الصمود الذي كان من أجل حفاظها على أسرتها وصيانتها من حياة الذل.

كما نلاحظ تكرار كلمة **الدلال** وهو التاجر الذي يبيع ويشتري، وفي هذه الكلمة المكررة دلالة على أن **الدلال** جاء ليجرب حظه في الجزائر، محاولا الاستيلاء على ثرواتها، وذلك يظهر في قوله **لكن دلالها يريد مالها**، أضف إلى ذلك محاولاته اللامتناهية لاغتصاب بنات الجزائر، وذلك يتضح في قوله **بنت الشهيد شهية**، إلا أن الشاعر صورها من ناحية أخرى أنها **أبية** وثابتة في صيانة شرفها، حتى أنها صفعت **الدلال** صفعة عوى لها، وكأن الشاعر صور سمو الأخلاق والصبر والعفة التي اتسمت به **بنت الشهيد** بالرغم من المعاناة التي عانتها والانكسار الذي بدا من خلال الأبيات.

فمن خلال تكرار هذه الكلمتين نرى اتساقا وائتلافا محكما بين أبيات القصيدة، فلا ينتاب منه المتلقي على كثرة قراءتها ملل ولا كراهة، وإنما لا يتوقف على طلب المزيد من إعادتها.

3. **تكرار الجملة:** جاء في القصيدة تكرار البيتين **مالها مالها؟ بنت الشهيد مالها** متوازيا، وهذا ما يدل على أن هناك مقصدا يريده الشاعر، ويتمثل في الوضعية التي تعيشها البلاد بعد الاستقلال.

والمتأمل لهذه الوضعية المكررة يجدها جملة استفهام، وهي بمثابة المفتاح الذي يمكننا من الولوج إلى القصيدة، ويسهم في إبراز الفكرة المركزية للقصيدة التي تدور حول المرأة الجزائرية التي ضحت بأغلى ما لها **أباها، أخاها، خالها** من أجل بلادها، ومع ذلك تخلت عنها الجزائر ولم تسألها حتى عن معاناتها.

وبالتالي فإن صيغة **بنت الشهيد مالها** هي لازمة توليدية للتراكيب عملت على تلاحم أجزاء القصيدة فيما بينها، وفي كل مرة تعطينا مدلولا أخر عن الويلات التي عاشتها بنت الشهيد، وهذا ما يؤكد أن هذه اللازمة-**بنت الشهيد مالها**- هي الإكسير الذي تقوم عليه القصيدة.

كما عملت هذه الصيغة المكررة **مالها مالها** بمنح صيغة إيقاعية وجرسا موسيقيا تتلذذه الأذن، مشحونة بنبرة من الحزن و الأسى.

4. تكرار المعنى: زخرت القصيدة بفيض غزير من التكرار المعنوي الذي له دلالة حول حالة العيش القاسية التي تعيشها بنت الشهيد، ويبدو أن ألام الشاعر تجاه ما وقع لها جعله يسترسل فيما جرى لها من معاناة باستطراد كقوله: **رهنت خلخالها- لتستر حالها -تطعم أطفالها -مسكينة فقدت رجالها -دلالها يريد مالها-بل يريد أغلى مالها -أعطتك أغلى مالها** كأن المعنى المقصود لم يتم إلا به، فأعظم بها أبيات تبرز ما عانته وتعرضت له بنت حواء الجزائرية.

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث، يمكن أن نخلص إلى أن الشاعر استطاع أن يعبر بصدق عن ألام النفس من خلال جمال القصيدة، وذلك باستخدام أسلوب التكرار الذي كان له وظيفة صوتية مولدة للإيقاع، ومما زاد في جماليات الصورة التكرارية، ذلك الاتساق بين الحروف والكلمات والجمل المكررة، وما نستشفه في الأخير هو أن التكرار هو المهيمن عبر كل القصيدة، وله الفضل في تقديم ترابط وبناء نسقية القصيدة.

هوامش البحث:

1- ابن منظور، لسان العرب. تحعامر أحمد حيدر وعبد النعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ط1 ،5 160/2003.

2- الفيروز الأيادي، القاموس المحيط. دار الكتب العلمية. لبنان، بيروت ط2،1999،1/125.

3-David Crystal ,the Cambridge encyclopedia of language ;119

نقلا عن علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، لصبحي إبراهيم الفقي،19/2.

4-الفقي صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع,مصر،القاهرة.ط1 2000. 19/2.

5-ينظر ابن قتيبة،عبد الله بن مسلم الدنيوري،تأويل مشكل القران الكريم .شرحه السيد أحمد سقر.دار الكتب العلمية.لبنان بيروت.ط3 1981.ص235.

6-ينظر ابن الأثير،ضياء الدين.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة. مكتبة نهضة مصر 2.1960/.

7-ينظر أبو زنيد عثمان.نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقاته.عالم الكتب الحديث. ط1 2010.ص139.

8-بوسنة محمود.أطروحة الاتساق والانسجام في سورة الكهف.جامعة الحاج لخضر باتنة.ص130.